

برنامج أنوار كاشفة

الرسالة إلى غلاطية

الحلقة الثانية عشرة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشريعة، أي بالناموس الذي أنزله الله قدّيما على كلامه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشريعة، ويمارسو فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علّم به بعض المعلمين من أصل يهودي، الذين هاجموا الرسول بولس شخصيا.

فرد عليهم بولس مؤكدا أن المخلص المسيح قد دعا شخوصيا وأعلن له رسالة الإنجيل، وأن الرسل أفرزوه رسولا للأمم. وأوضح الرسول بولس أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط. وأن موعد الله لإبراهيم قد تم بمحيء المسيح. واعتبر أن عهد الناموس كان عهدا شرطيا ومؤقتا. وأنه في المسيح صار جميع المؤمنين من شعب الله.

وكشف الرسول بولس أنه في ملة الزمان، أرسل الله ابنه، أي كلمته الأزلية الذي كان متحدا مع الله، من نسل المرأة كما وعد. ولهذا حضر الله الجنس البشري منذ بدء الخليقة لمجيء المسيح في الوقت المعين. وكإنسان كامل خضع المخلص المسيح للناموس وتتممه، بأن دفع ثمن خطايانا بمותו الكفاري على الصليب. وهكذا فتح الطريق لكي يصبح كل من يؤمن به من أولاد الله، وبصير الله أباه، ويرث كل مواعيد الله الثمينة.

بعد هذا الشرح المسهب لتاريخ معاملة الله مع الإنسان إلى أن أتى المخلص المسيح، بدأ الرسول بولس مناقشة المؤمنين في غلاطية الذين تأثروا بتعاليم أولئك المعلمين من أصل يهودي، وأرادوا حفظ الناموس، فكتب لهم قائلا: "لكن حينئذ إذ كنتم لا تعرفون الله أستبعدتم للذين ليسوا بالطبيعة آلهة. وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالحرفي عُرفتم من الله، فكيف ترجعون أيضا إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستبعدوا لها من جديد. اتحفظون أياما وشهورا وأوقاتا وسنين. أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبنا". (غلاطية ٤: ٨-١٠)

لقد كان معظم المؤمنين في غلاطية من أصلوثي، وهنا ذكرهم الرسول بولس بهذه الحقيقة، أنهم قبل إيمانهم بالمخلص المسيح، كانوا مستعبدين لآلهة وثنية زائفة، وكانتوا يعبدون الأصنام التي هي من حجر وخشب. ثم أتى الوقت الذي عرّفوا فيه الله الحي، الإله الحقيقي خالق الكون، وأمنوا بالمخلص المسيح. لا بل عرّفهم الله أي منحهم الخلاص وحررهم من العبودية، عبوديتهم

للخطية، وعبوديتهم لـالله المزيفة. وهذا وجه الرسول بولس تساؤله إلـيـهم فقال: كيف تـريـدون العـودـة الـآن من جـديـد إـلـى نوع آخر من العـبـودـيـة؟ أي عـبـودـيـة أـرـكـان النـامـوس الـضـعـيفـة الـفـقـيرـة التي لا تستـطـيع أن تـبـرـر الإـنـسـان أو تـهـبـه الـخـالـص؟

أما أـرـكـان النـامـوس الـضـعـيفـة التي أـرـاد المؤـمنـون في غـلاـطـية العـودـة إـلـيـها فـهيـ الخـاتـان أو التـطـهـير، وـنـظـام الـأـطـعـمـة مـحـلـلة لـلـأـكـل، وـأـطـعـمـة غـيرـ مـحـلـلة. وـحـفـظ أـيـام السـبـت والأـعـيـاد والـموـاسـم الـيـهـوـدـية. ولـهـذا عـبـرـ الرـسـول بـولـس عن خـوفـه عـلـيـهمـ، من أـنـ يـكـون قد تـعـبـ فـيـهـمـ باـطـلاـ. فـهـوـ الـذـي بـشـرـهـمـ بـبـشـارـة الـخـالـصـ المـفـرـحةـ، بـشـارـة نـعـمة اللهـ، لـكـنـهـ يـنـخـدـعـونـ الـآنـ بـسـهـولةـ بـعـضـ الـتـعـالـيمـ، التي تـرـيدـ أنـ تـسـتـعـدـهـمـ منـ جـديـدـ.

لـكـنـ أـلـيـسـ هـذـاـ ماـ يـفـعـلـهـ الـكـثـيـرـونـ حـتـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ؟ فـبـالـرـغـمـ مـنـ مـجـيـءـ الـمـخـلـصـ الـمـسـيـحـ وـإـعلـانـهـ لـخـالـصـ اللهـ، مـازـالـ الـكـثـيـرـونـ يـظـنـونـ أـنـ بـإـمـكـانـهـمـ الـحـصـولـ عـلـىـ رـضـىـ اللهـ، بـمـارـسـتـهـمـ لـلـفـرـائـضـ وـالـطـقـوـسـ الـدـيـنـيـةـ. بـيـنـمـاـ الـمـطـلـوبـ مـنـهـمـ فـقـطـ هوـ الـإـيمـانـ بـالـمـخـلـصـ الـمـسـيـحـ وـعـمـلـهـ الـكـفـارـيـ منـ أـجـلـهـمـ عـلـىـ الـصـلـيبـ، لـكـيـ يـنـالـواـ خـالـصـ اللهـ، وـيـحـصـلـواـ عـلـىـ التـبـرـيرـ، وـبـدـونـ أـيـ عـمـلـ يـقـومـونـ بـهـ. أـجـلـ هـذـهـ هـيـ نـعـمةـ اللهـ لـنـاـ نـحـنـ الـبـشـرـ الـخـطـاطـةـ.

ثـمـ عـادـ الرـسـول بـولـسـ لـلـحـدـيـثـ عـنـ بـدـاـيـةـ عـلـاقـتـهـ مـعـ الـمـؤـمـنـينـ فـيـ غـلاـطـيةـ، فـقـالـ: "أـتـضـرـعـ إـلـيـكـمـ أـلـيـهاـ إـلـيـخـوـةـ كـوـنـواـ كـمـاـ أـلـيـ أـنـاـ أـلـيـضاـ كـمـاـ أـنـتـمـ. لـمـ تـظـلـمـونـيـ شـيـئـاـ. وـلـكـنـمـ تـعـلـمـونـ أـنـيـ بـضـعـفـ الـجـسـدـ بـشـرـتـكـمـ فـيـ الـأـوـلـ. وـتـجـربـتـيـ التـيـ فـيـ جـسـديـ لـمـ تـزـدـرـوـاـ بـهـاـ وـلـاـ كـرـهـتـمـوـهـاـ بـلـ كـمـلـاـكـ منـ اللهـ قـبـلـتـمـوـنـيـ كـالـمـسـيـحـ يـسـوـعـ. فـمـاـذـاـ إـذـاـ تـطـوـيـكـمـ. لـأـلـيـ أـشـهـدـ لـكـمـ أـنـهـ لـوـ أـمـكـنـ لـقـلـعـتـ عـيـونـكـمـ وـأـعـطـيـتـمـوـنـيـ. أـفـقـدـ صـرـتـ إـذـاـ عـدـواـ لـكـمـ لـأـلـيـ أـصـدـقـ لـكـمـ." (غـلاـطـيةـ ٤:١٢ـ ١٦:٤)

بـدـأـ الرـسـول بـولـسـ حـدـيـثـهـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـاتـ الـمـقـدـسـةـ بـالـالـتـمـاسـ إـلـىـ الـمـؤـمـنـينـ فـيـ غـلاـطـيةـ أـنـ يـكـونـواـ كـمـاـ هـوـ. أـيـ يـكـونـواـ مـتـحرـرـينـ مـنـ عـبـودـيـةـ حـفـظـ النـامـوسـ. وـكـانـ أـمـراـ مـهـماـ أـنـ يـصـدـرـ هـذـاـ طـلـبـ مـنـ الرـسـولـ بـولـسـ نـفـسـهـ. فـهـوـ كـانـ قـبـلـ إـيمـانـهـ بـالـمـخـلـصـ الـمـسـيـحـ يـهـودـيـاـ مـتـعـصـبـاـ، وـيـحـاـوـلـ بـكـلـ جـهـدـ وـإـخـلـاصـ تـطـبـيقـ ماـ جـاءـ فـيـ شـرـيعـةـ مـوـسـىـ. لـكـنـ بـعـدـ إـيمـانـهـ بـالـمـسـيـحـ وـإـدـراكـهـ لـنـعـمةـ اللهـ الـغـنـيـةـ وـالـوـاسـعـةـ، تـحـرـرـ مـنـ عـبـودـيـةـ النـامـوسـ وـقـوـانـيـنـهـ الـقـيـلـةـ. وـلـيـسـ هـذـاـ فـحـسـبـ بـلـ أـضـافـ الرـسـولـ بـولـسـ مـعـلـناـ لـهـمـ، أـنـهـ الـآنـ وـبـعـدـ أـنـ تـمـتـ بـالـحـرـيـةـ مـنـ قـيـودـ النـامـوسـ، أـصـبـحـ مـثـلـهـمـ. وـهـمـ الـذـيـنـ لـكـونـهـمـ مـنـ الـأـمـمـ غـيرـ الـيـهـودـ، كـانـواـ دـائـمـاـ يـتـمـتـعـونـ بـالـحـرـيـةـ مـنـ عـبـودـيـةـ النـامـوسـ.

وـهـذـاـ كـانـ أـمـراـ مـهـماـ آخـرـ عـلـىـ الرـسـولـ بـولـسـ أـنـ يـبـلـغـهـمـ إـيـاهـ. فـهـمـ مـنـ الـأـمـمـ غـيرـ الـيـهـودـ، الـذـيـنـ آمـنـواـ بـالـمـخـلـصـ الـمـسـيـحـ، لـيـسـواـ بـحـاجـةـ أـبـداـ لـأـنـ يـضـعـواـ أـنـفـسـهـمـ مـنـ جـديـدـ، تـحـتـ عـبـودـيـةـ أـخـرىـ هـيـ عـبـودـيـةـ النـامـوسـ. لـاـ سـيـماـ بـعـدـ أـنـ تـبـيـنـ لـهـمـ، أـنـهـ يـجـبـ حـتـىـ عـلـىـ

المؤمن بال المسيح من أصل يهودي، أن يتحرر من الناموس. وهم بعودتهم إلى الناموس، لا يسيئون إلى الرسول بولس، بقدر ما يسيئون إلى التعليم الصحيح وإلى أنفسهم أيضاً.

ثم عاد الرسول بولس ليذكر المؤمنين في غلاطية أنه عندما أتى إليهم لأول مرة حاملاً بشارته الإنجيل المفرحة، فقد استقبلوه بترحاب شديد، وقبلوه كملاك مرسل من عند الله، بل كأنه المخلص يسوع المسيح نفسه. كان هذا القبول بالرغم من رؤيتهم لضعف جسده، لا بل إنهم لم يزدروا به أو يحتقروه بسبب ضعفه هذا. أما هذا الضعف الذي أشار إليه الرسول بولس هنا، فمن المرجح أنه كان مرضياً في العينين، سبب له ضعفاً في الرؤية.

والذي يؤكّد هذا الاحتمال أن الرسول بولس عاد وكتب في نفس هذه الآيات، أنه من كثرة تعلق المؤمنين في غلاطية به، أنهم كانوا على استعداد لكي يقلعوا عيونهم ويقدموها له. لقد أدرك المؤمنون في غلاطية عندما سمعوا رسالة الإنجيل من الرسول بولس لأول مرة، مدى البركة الروحية التي حصلوا عليها. ولهذا كان تقديرهم له كبيراً جداً، حتى أنهم كانوا مستعدين لكي يعطوه عيونهم. لكن ماذا حصل لهم بعد أن انخدعوا بأقوال أولئك المعلمين من أصل يهودي؟ لهذا تسأله الرسول بولس قائلاً: هل صرت الآن عدواً لكم لأنني كلمتكم بالحق؟ أي كلمتكم بالتعليم الصحيح لرسالة الإنجيل.

مستمعي الكريم، لقد حاول بعض المعلميين قديماً خداع المؤمنين الذين قبلوا خلاص الله المجاني، عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح. لكن أتعلم أنه مازال الكثيرون حتى يومنا هذا ينخدعون بمثل هذه التعاليم؟ فما زال الكثيرون يعتقدون أن بإمكانهم إرضاء الله عن طريق أعمالهم الصالحة، وحفظهم لشريعته، وممارستهم للفرائض الدينية. مع العلم أن عبوديتنا للخطية هي المشكلة، وكل أعمالنا الصالحة لن تستطيع أن تمحو خطية واحدة. ولهذا أعلن الله خلاصه للبشر جميعاً، عن طريق المخلص المسيح وعمله الكفاري من أجل خطيائنا على الصليب. وما علينا نحن سوى أن نؤمن فقط، لكي نحصل على هذا الخلاص الكامل العجيب، ونتبرّر أمام الله. فهل تصدق ما أعلنه الله؟ وتتجاوب مع محبته العظمى لك؟ وهل ترك تؤمن بهذا المخلص الفريد؟